

طبيعة القيم الأخلاقية بين التركيب الروحي والتركيب المادي وتأثير الحداثة عليها: قراءة في فكر عبد الوهاب المسيري

The nature of moral values between spiritual and material
composition and the impact of modernity on them
Reading in the thought of Abdul Wahab al - Missiri

بوحسي عبد الهادي^{1*}، إشراف: د. درقام نادية²

¹كلية العلوم الاجتماعية_ جامعة وهران 2 _ الجزائر

²العلوم الاجتماعية_ جامعة وهران 2 _ الجزائر

تاريخ النشر: 2019/12/31

تاريخ القبول: 2019/06/08

تاريخ الإرسال: 2018/10/21

ملخص :

يعتقد "عبد الوهاب المسيري" من خلال تحليله لبنية الإنسان وتركيبته الفيزيولوجية أنه لا يعبر عن جانب واحد من قدراته الذهنية والبدنية من خلال الوسط الاجتماعي. كلمات المفتاحية: البنية الفيزيولوجية؛ الجانب المادي والروحي؛ الهوية العربية الإسلامية؛ البعد الحضاري؛ الإنسانية المشتركة.

Abstract: Abdelwahab Messiri Beliefs through his analysis of Human structure and physiological structure. He does not express one side of his mental and philosophy ability through the social milieu.

Keywords : Physiological structure ; the physical and spiritual aspect ; Arab Islamic identity ; civilization dimension ; common humanity ; moral values ;globalisation.

مقدمة

يعيش الإنسان في بيئة اجتماعية يشارك غيره كل عوامل الحياة ومتطلبات البقاء والاستمرارية في جميع جوانبه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية باعتبارها ترتبط بشكل وثيق بمسألة الأخلاق والسلوك الإنساني الذي يعتبر المرآة العاكسة لها

* الباحث المرسل: bouhsiabdeloihab@gmail.com

تبين ما مدى قرنها أو بعدها عن القيم والمثل العليا للبشر، عندما نتحدث عن فلسفة الأخلاق فنحن أمام خاصية ترتبط بالإنسان دون سائر الكائنات الحية والتي يشترك معها في الغريزة باعتبارها حاجة بيولوجية طبعاً المقصود بتلك الكائنات هو الحيوان، لأنه يشبه الإنسان في تركيبته الفيزيولوجية التي ترتبط بعنصر الغريزة فالإنسان جزء من الطبيعة يسري عليه ما يسري على بقية الموجودات في الطبيعة. لكن الإنسان جانب روحي يعبر عن الجانب الخصب في داخله ويعيش مجموعة من الأحاسيس والمشاعر التي تنعكس على سلوكياته وأفعاله في الظاهر وتؤثر في جانبه الذهني فينتج عن ذلك الفكر المرتبط بميزة العقل الذي يميز به بين الأفعال حسنها وقبيحها كل ذلك ينتج لدى الإنسان منظومة من القيم والمبادئ فمسألة الأخلاق تعبر عن جملة العلاقات التي تربط الأفراد مع بعضهم البعض داخل نسق اجتماعي معين في مختلف شعوب العالم وتلك العلاقات تصاغ في شكل قوانين وضوابط معينة.

لذلك نحن أمام إشكالية تتعلق بطبيعة القيم الأخلاقية وتأثيرها على الفعل الإنساني الذي يرتبط بمجموعة من العوامل والإثباتات الوظيفية، بمعنى لها دور يقوم على تحديد وجهة ذلك الفعل ويصنّفه؛ كمسألة المعتقدات والعادات والتقاليد التي نعبر عنها بالتراث الإنساني، وكذلك مسألة الهوية باعتبارها بطاقة تعريف شعب ما من الشعوب أو الأمم، فلذلك سنحاول التفصيل في هذا الموضوع المتعلق بمسألة القيم الأخلاقية على ضوء قراءة الفكر عند عبد الوهاب المسيري وتجربته في مسألة الاهتمام بإشكاليات الفكر العربي المعاصر، وسنحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هو البعد الأخلاقي للسلوك الإنساني؟ وكيف تؤثر طبيعته التركيبية على السلوك وعلى القيم؟ هل يمكن للحدثة ومسألة العلمانية أن تؤثر على مسار السلوك والفعل الأخلاقي في الواقع العربي وما وجه العلاقة بالواقع الغربي والإنساني عموماً؟

1. الطبيعة الفيزيولوجية للإنسان

إن دراسة الإنسان من حيث مكوناته الفيزيولوجية هي مسألة ضرورية لفهم السلوك الغريزي والفطري، فمن المعلوم أن للإنسان جانبين يعبران عن تركيبته الفيزيولوجية المرتبطة بالطبيعة التي هو جزء منها ترتبط بمجموعة من الأشياء مثل الغريزة بالنسبة للسلوك والفعل من طريقة العيش والتنقل والبحث عن الغذاء والتناسل لاستمرار

النسل البشري، كل ذلك يعبر عن وجوده الملموس، يقول عبد الوهاب المسيري: ثنائية الخالق والمخلوق والمتجاوز والحال الكلمات وهي ثنائية الجانب الطبيعي المادي في مقابل الجانب غير المادي أي الروحي فتلك الاحتياجات الطبيعية المادية... فالإنسان هنا موجود مادي¹، فالإنسان بذلك هو مادة حية وطبيعية مثله مثل الحيوان فهما من الكائنات البيولوجيات تماما، لكن هناك الجانب الروحي وهو ما سماه المسيري بنموذج للسر*، بالعودة لجانب المادة فهو يمثل الطبيعة المركبة للإنسان والتي نعود لها لتفسير ظواهره، أي أن الإنسان ظاهرة طبيعية تسري عليها جميع الآليات والاحتمالات الطبيعية والتي هي في الأصل سابقة لوجوده، بل هي وجدت لتخصه، وهو ما نعبر عنه بالبيئة الطبيعية من عوامل المناخ والتضاريس من ماء وهواء وحر وبرد وغطاء نباتي الخ، وهو ما أكده عبد الوهاب المسيري من خلال قوله: "الفلسفات المادية تؤمن بأسبقية الطبيعة على الإنسان وترد كل جوانبه إلى العنصر المادي"²، فهناك ثنائية في الجانب المادي وفي مقابل الجانب غير المادي الذي يعتبر الجانب الآخر للطبيعة البشرية الذي يمثل الميزة الخاصة بالإنسان والتي لا يشترك فيه مع الحيوان، بل لا يمكن لقوانين الطبيعة أن تتحكم فيه أو تؤثر عليه، وهو تعبير خالص عن إنسانية الإنسان، يتجلى ذلك من خلال النشاط الفكري والعقلاني الذي تعكسه المظاهر الحضارية والعمران دون أن ننسى جانب الحس المرتبط بالخوف الخلقي والذوق الجمالي والجانب الديني، ومن الأمور المختصة في الجانب الروحي للإنسان، نجد أنه كائن مفكر ومتسائل عن العلة الأولى الوجود ولا يكتفي بالجانب الظاهري لإنشاء فقط مثل الحيوان ككائن غريزي، ولأجل ذلك سمي الإنسان بالحيوان الفيزيولوجي حسب "عبد الوهاب المسيري" الذي يمكن له تجاوز ذاته التي هو مدرك لها باعتبارها مادية، ويمكن له إعادة صياغة وجوده وفق نظرتة³، كما أن للإنسان إرادة حرة تمكنه من آلية الرفض والقبول لما تلقى عليه الطبيعة من مظاهر، ويمكن له أن يتكيف معها أو يقاومها كذلك بقدراته العقلية أو تلك الوسائل المادية التي يبتكرها لتعينه على العيش عبر مختلف مراحل الحياة التي تعبر عن التاريخ بمعناه الزمني، ويخلق منظومات تحكم عالمه الطبيعي أو الاجتماعي، ذلك أن البشر لا

1 عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط1 2002، ط2 2007، ص12

2 المصدر نفسه، ص ن.

3 المصدر السابق، ص13

يتمتعون بتركيبية واحدة يمكن صيغها في قالب وحيد، ولا يخضعون جميعاً لنفس المعايير والقواعد التفسيرية للوجود، فلكل فرد طاقة كامنة بداخله تعبر عن قدراته وميوله والجانب النفسي الذي يتحكم في إحساساته ومشاعره، وفلسفة عبد الوهاب المسيري المتعلقة بطبيعة الإنسان تركز على نموذج المادة ونموذج السر في محاولته لتفسير الظواهر الإنسانية التي تتعلق بسلوكه والذي يعكس بعده القيمي، فإذا كانت تلك الطبيعة المادية له التي تميزه عن غيره من الكائنات في جانب تركيبته وجوده وهي طبعا المرجعية التفسيرية له على أساس أنه خاضع لقوانين الطبيعة والعلم العامة، حسب علماء الطبيعة فأن عبد الوهاب المسيري يعتبر أن ما لا يخضع لتلك القوانين غير موجود بشكل يصعب رده إلى عالم المادة الطبيعي، مثل قيم الكرامة والهوية والعزة، فتلك النظرة حسب المسيري لا تضع في الحسبان مسألة الجوهر الروحي للإنسان، وتلك الخفايا التي تعكس مسألة الأخلاق والقيم المكتسبة مثل الخير والحق¹.

من الواضح أن هناك تأثير واضح لمسألة نموذج السر بالنسبة لطبيعة الإنسان في مقابل النموذج المادة، ذلك أن سلوك البشر تحدده القيمة الأخلاقية له فهو يحمل علما خفيا من الأسرار والمكبوتات، لذلك "فعبد الوهاب المسيري" يقترح نموذج آخر يكون حلا لتلك المشكلة المتعلقة بالتصادم بين الطبيعة المادية للإنسان وتلك الطبيعة غير المادية، لكن المسيري طبعا يؤكد على أهمية نموذج السر ويعتبره الأقرب للإنسان، كما يمكن التأكيد على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحتى الجانب الديني في تغيير الواقع الإنساني، ولقد وظف المسيري هذه الفكرة في تفسيره وتبريره لمسألة الانتفاضة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني باعتبارها تمثل أهم جانب لمشكلة الأخلاق والقيم في الفكر المعاصر، فأكد على البعد الروحي للأمر ولابد من تجاوز مسألة الغريزة ونفى أن تكون مصدر إلهام للانتفاضة، بل هناك أسباب تتعلق بالقيم ومسألة الهوية العربية وطبيعتها، فالنموذج الجدلي ليس مجرد رد فعل بيولوجي مادي² بل هو اكتمال للعامل النفسي والروحي بالنسبة للشعب الفلسطيني، فقام بالانتفاضة، وهذه مسألة ضرورية لعملية تطوير الفكر العربي المعاصر.

1 المصدر السابق، ص 19.

2 المصدر نفسه، ص ن.

2. طبيعة القيم الأخلاقية وعلاقتها بالسلوك

لاشك أن من طبيعة البشر رغم اختلاف أعراقهم وألوانهم ومعتقداتهم وحتى البيئة الاجتماعية التي ينتمون إليها، إلا أن مسألة القيم الأخلاقية تعتبر مثلاً أعلى ينضوي تحته كل رد فعل أو تعبير عن السلوكيات فمسألة الحسن أو القبح تعتبر قيمة أخلاقية ودينية محضّة، ترتبط بفطرة الإنسان والسجّية، وهو ما يعبر عنه الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" بالإرادة الخيرة هذا على مستوى الطبيعة البشرية وما تواضع عليه الناس حوله بالنسبة لمسألة قبول القيم، فمن الوجهة الدينية فإن الإسلام يطرح نفسه كمشروع للسلام والتعايش بين البشر وفق قوانين معينة تحكم العلاقة بينهم يقول "عبد الوهاب المسيري" ("نحن لسنا دعاة حرب، ولسنا دعاة سلم ولكن نحن ندعو للعدل على الأرض ونحن كبشر نفضل مقاومة الظلم بالطرق السامية ومن خلال الأمم المتحدة إذا توفرت الشروط لذلك....)¹. كلامه يدخل في إطار السياق السياسي للصراع العربي مع الكيان الصهيوني الذي يرتبط أساساً بمسألة الأخلاق، فقد دعا لتبني نظرية تقوم على العدل التي لا بد أن تحل محل الحرب الدامية والسلام المفروض من طرف القوي، المفروض على الأنا العربي ولا زال يؤثر على توجهاته الفكرية، فيقول "المسيري": إذا لم تتوفر الشروط للحل السلمي فلا بد من طرق مشروعة حسب المواثيق الدولية للدفاع عن الأرض والذات، مثل المقاومة المسلحة²، فهو يدعو لبناء ثقافة العدل بين الشعوب كبعد أخلاقي لضمان الحقوق، فالحروب لم تجلب إلا الدمار فما زالت آثار الحربين العالميتين الأولى والثانية على البعد الفكري والحضاري للدول العربية ومكانتها العالمية التي أثرت بالسلب على القضية الفلسطينية، ونظرية العدل التي يقول بها المسيري تركز على رد الاعتبار لمسألة القيم ولا بد لأجلها من إعادة دراسة الواقع العربي والفهم العميق لطبيعته، بالإضافة إلى الحقائق العملية الاعتبارية، ولا بد حسبه أن كل الإجراءات على أرض الواقع لا بد أن تستثمر على قيمة أخلاقية بفعل إنساني فاضل وما يعود على البشرية بالنفع وهو ما سماه "بالمعروف" ولا بد من التهيؤ له والدفاع عنه ضد كل فعل لا أخلاقي يؤدي للضرر وهو ما سماه "بالمُنكر"³، طبعاً نظريته متأثرة بالفكر

1 عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، ص 6.

2 المصدر نفسه، ص ن.

3 عبد الوهاب المسيري، مصدر سابق، ص 13.

الأخلاقي الإسلامي، والعبرة من هذا الفعل هو تطبيقه على أرض الواقع وليس على مستوى الخطاب في جانبه التحليلي والتفسيري من جهة، والخطاب العملي الأخلاقي من جهة أخرى والخطاب العملي له أهداف مباشرة مثل التعبئة للجماهير، حيث يرى "المسيري" أن هناك الخطاب العملي التعبوي وهو دعائي محض، موجه للعامة لتحريك الجانب العاطفي فمهم من خلال التأثير على ما هو قيمي وأخلاقي عندهم، هناك أيضا الخطاب القانوني العملي، وهو قضية مراجعة لتوضيح الحق من الناحية القانونية وأكد "المسيري" عليه لتبيان أحقية العرب في قضيتهم حول فلسطين، ومن تبعات هذين النوعين من الخطاب أوجدت مصطلحات تعبوية أخلاقية مثل ثقافة السلام وثقافة الحرب، لكن حسب "المسيري" ليس لها قيمة تحليلية أو تفسيرية كبيرة تخدم الأخلاق بقدر ما تخدم وتخلق الوهم بوجود شيء عملي أخلاقي مطلق هو السلام مقابل شيء آخر غير عملي لا أخلاقي هو الحرب¹، وطبعا فإن مسألة الحروب ليست أصيلة في السياق الوجودي للإنسان أو التاريخي، بل إنها مجرد حالة عرضية تعبر عن انتكاسة في القيم الإنسانية، وحتى تلك الحالات التي تكون فيها الحرب الدفاع عن القيم إنما هي فعل اضطراري فقط، وهذا ما جعل الحديث عن ثقافة الحرب والقيام بها مهما كانت الأسباب والدوافع فإنها تعبر عن العنف وتوصف بالإرهاب وضد الإنسانية، كما هو الحال في الشرق الأوسط كما يحب الغرب تسميته، فأحقية المقاومة تعتبر ضد التعايش السلمي مع الآخر، الذي يسلب الأرض ويمحو الهوية بشكل تسارعي، فالبعد الديني لمسألة القيم مهم، فحتى في ثقافة اليهود هناك ربط للأخلاق بالدين، يقول الفيلسوف اليهودي الألماني هرمان كوهين: "إن النبي هو المدافع عن الأخلاقيات العالمية وأن الأنبياء هم مفكرون تقدميون...² بمعنى أن التصور الديني يقوم على تحقيق الأخلاق والقيم، فنحن رغم كل شيء لا زلنا نؤمن بالأخلاق ليس بمعنى أنها لا تصلح ولا تتحقق في الواقع بل أنها تعبر عن قيمة إنسانية تفوق المادة، ومن المهم القول أن الحضارة البشرية التي ساهم فيها كل البشر وتعتبر عن نتاج الجماعة وللعيش سويا لا بد من وجود قوانين تحكمنا في أنفسنا بأننا وتحكم علاقتنا .

1 المصدر نفسه، ص 06.

2 عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجيا الصهيونية، دراسة حالة علم الاجتماع المعرفة، ص 182.

3. الإنسانية المشتركة وتأثير العلمانية:

يعتبر المسيحي أن العلمانية هي مجموعة من الأفكار التي يتوصل إليها بعض المثقفين تشاركها طبقة اجتماعية تقوم هي بنشر فكرة العلمانية تدريجيا ويطبّقها الناس، حتى تنتشر في كل المجتمع، فهو يعتبرها ظاهرة دخيلة على المجتمع العربي والإسلامي¹، وهي من مفرزات التحوّلات العقلانية في المجتمع الغربي الحدائثي، ومن منظور الشرق، فالعلمانية نعتبرها نحن المسلمون هي فصل للدين عن الدولة مرتبطة بأوروبا المسيحية، وأن بعض المفكرين العرب المسيحيين هم من أدخلوها للفكر العربي المعاصر، أو هي مؤامرة غربية على العالم العربي، لكن هناك حقيقة تقول أن العلمانية تكمن في المجتمعات البشرية العربية وليست مجرد أفكار مستوردة، فهناك كذلك من حيث الواقع إجراءات تدل عليها على مستوى السياسة والنظم المعرفية العربية من خلال ارتباطها بالمنتجات المادية الغرب. وحتى على مستوى البيئة البسيطة، هناك من الأفعال التي تنطلق من الممارسة ولا تحتاج لنص ديني لتوجيهها، ومثال على ذلك مسألة تلقيح النخيل في زمن الجاهلية بشكل يدوي وموقف الرسول منها في الإسلام من خلال حديثه عن أن الرياح جعلت لواقح مع أن العرب ألفت ذلك من قبل، فعندما نتكلم عن العلمنة التي لها علاقة بكلمة العلمانية فنحن أمام مفهوم الترشّي مشق من كلمة "رشد" أي عقل أو عرف الطريق نحو الرشاد والاستقامة نجد لها مرادف في اللغة الإنجليزية هو (ريسون) (reason) أي العقل أو الرشاد، ومنها كلمة الرشاد أو عقلاني (rational) وهي مشتقة من أصل لاتيني هو "رتيو" الذي معناه المنهج أو الخطة (ration) الذي هو يتضمن معنى التحديث في إطار المرجعية المادية فحسب "عبد الوهاب المسيحي" هو تصور ينطبق على العلمنة¹، فمسألة الترشيد حسب "المسيحي" هي تحليل للثنائيات التي تؤدي لوجود أكثر من جوهر وأكثر من قانون، وبالتالي نحن أمام دعوة لترك الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل شعب وأمة تلك التي تقف عثرة في وجه القانون الواحد الذي يتبناه النظام العالمي الشمولي المتعلق بالعمولة والعالمية، والتي ترفض كل المطلقات والثوابت المتجاوزة للقانون المادي الواحد فهي تسعى للتخلص من

1عبد الوهاب المسيحي، عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، مكتبة الإسكندرية، ط1 2000، ص

كل القيم الروحانية والأخلاق والمعتقدات فحسب "المسيري" الترشيد له بعد إيديولوجي المراد به هو تطبيق الواحدة المادية على الحياة المادية والاجتماعية للإنسان .
إذا كانت الهوية تعبر عن مصطلح ضد العولمة والتسلط كشكل من أشكال المقاومة من هنا كان مشروع "المسيري" حول الإنسانية المشتركة كبديل للإنسانية الواحدة التي هي مصطلح غربي يعبر عن عصر الاستنارة، فيصبح الإنسان الغربي هو المثل الأعلى للأخلاق، وهنا يكمن الخطر عندما تصبح الإنسانية تعني المادة، فالإنسانية الواحدة بالنسبة "للمسيري" تعني العولمة والتحكم في جميع البشر من خلال إلغاء الهوية، لذلك كان البديل عنده هو الإنسانية المشتركة التي تحترم البعد الاختلافي المتنوع للبشر والتي تنطلق حسب من قول المفهوم الإسلامي "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"¹ فتؤكد على المساواة مع احترام الخصوصية والاعتراف بالاختلاف، تحت معيار التقوى وهي دلالة على القيم والأخلاق، نجد في المعمار الإسلامي تنوعا عرقيا بين الهندي والعربي والعثماني والمصري والأندلسي، لكن كلهم ينضون تحت مسمى الهندسة الفنية الإسلامية فالإنسان له جانب كلي لا يمكن للطبيعة تفسيره وقوانينها²، والهوية التي تعبر عن روح الإنسان هي تلك السمات التي تجمعها بالأخر تحت مسمى العيش المشترك فالقيم الإنسانية مصدر سلوكياته وإبداعه ومن سمات الإنسانية المشتركة حسب المسيري هي الخصوصية التي تعبر عن التراث، وهي سمة حضارية لها مدلولاتها الفلسفية والسياسية العميقة، فأى ظاهرة إنسانية لها وجه اتفاق مع الظاهرة الأخرى من منظور القانون العام أو اختلافها عنه من منظور الخصوصية وهي تعني المحافظة والأصالة ولا تعني التعصب والتطرف ضد الآخر المختلف في الثقافة والفكر والعرق وغيرها من الفروقات الطبيعية بين البشر، وبالتالي فإن "المسيري" أراد بناء حداثة عربية إسلامية قادرة على استيعاب منجزات الحداثة الغربية المعرفية والتقنية³، لكن شرط عدم الذوبان في الحضارة الغربية التي وصفها بالمادية، وذلك من خلال تركزه على الطابع

1 المصدر نفسه، ص 33

2 في عالم عبد الوهاب المسيري حوارات نقدي حضاري، تقديم حسنين هيكل، تحرير احمد عبد الحليم عطية، دار الشروق المجلد 2، دراسات وشهادات، 2004، ص 38

³ بشير ربح، مطارحات في العقل والتنوير هبة الوهاب المسيري أمودجا، دار الفارابي الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص12

الإسلامي لتصوره حول الحداثة فهو انتقد البعد الفلسفي الذي أعلن موت الإله انتصارا للإنسان والذي بدوره تعرض للنكران فيما بعد واعتبر مجرد مقولة طبيعية على الرغم من كونه رمز الوجود الميتافيزيقي، ولتحقيق ذلك كان لابد "للمسيري" من القيام بحوارات مهمة جدا حول كل المسارات المكونة لهذا الهاجس الحضاري خصوصا ما تعلق بالعلمانية التي تشكل شكل من أشكال الحلولية ووحدة الوجود المادية، وقد بدأت عملية الحلول في المجال الاقتصادي في البداية، فأصبح معيار الحكم على الاقتصاد معيارا اقتصاديا مستمد منه¹، لكن بعد ذلك انتقل الأمر المتعلق بالعلمانية لمجالات أخرى، خصوصا السياسة.

خاتمة:

وكجواب عن الإشكالية المطروحة يمكن القول أن الطبعة التركيبية للإنسان لا تعبر عن جانب واحد من قدراته الذهنية والبدنية في تعايشه مع البيئة والمجتمع، كما أن الإنسان ليس مجرد كتلة من المادة التي تعبر عن طبيعته الظاهرية، لكن يوجد الجانب السري حسب "عبد الوهاب المسيري" والذي يعبر عن قيمته الحقيقية ككائن عاقل يعيش القيم والمثل العليا التي تصون سلوكياته، وتؤثر فيها بما يتيح العلاقة بين البشر، والهوية العربية الإسلامية تعبر عن التعايش السلمي والهوية المشتركة بين البشر حسب المسيري وليست فهم ضيق واحتواء للأخر كما هو الحال بالنسبة للعولمة الغربية والحل هو الإنسانية المشتركة ويمكن استخلاص جملة من النتائج المتوصل لها من البحث كالتالي :

- للإنسان طبيعة مركبة من مادة وروح وطبيعته الفيزيولوجية والسيكولوجية تؤثر في سلوكه ونشاطه النفسي والاجتماعي على أساس الارتباط بالغريزة المتعلقة بالعيش والتنقل والتناسل من أجل البقاء، فذلك تعبير عن الوجود الملموس عبر عنه "عبد الوهاب المسيري" بثنائية الخالق أي الجانب الروحي اللامادي في البشر وجانب المخلوق أي المادة المركبة له باعتباره جزء من الطبيعة تعتبر مصدر تفسير لظواهر الإنسان الفيزيولوجية والتي هي سابقة عنه ويخضع لها وفقا لحتمية القوانين الطبيعية حسب

¹ ممدوح الشيخ، من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، عبد الوهاب المسيري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 2008، ص 84

الفلسفات المادية _ الأمر الثاني هو أنه لا يمكن حسب عبد الوهاب "المسيري" لتلك الحتميات والقوانين أن تفسر الطبيعة البشرية الخفية والتي تعبر عن فطرته وسجيته فتلك ميزة خاصة بالبشر لا يملكها غيره من الكائنات وحتى الحيوان فله طبيعة غرائزية تحكم سلوكه على الرغم من مظاهر الإبداع والذكاء لديه وحتى بعض من معاني القوة والتضحية والإيثار التي يتمتع بها الحيوان، لكن الإنسان له نشاط عقلاي وفكري لا يملكه الحيوان والتمدن والعمران والحضارة البشرية تعبر عن ذلك وبقوة وهذا ما خلص إليه ابن خلدون في علم العمران البشري الذي بناه على الإنتاج البشري .

- كذلك أن المفكر "عبد الوهاب المسيري" يرجح نموذج السر أو الجانب الخفي من الإنسان على نموذج المادة في تحديد حقيقة الإنسان وطبيعته من خلال التأكيد على مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية عكس الحيوان الذي لا يخرج عن النطاق البيولوجي، ونموذج السر هو المحرك حسب "المسيري" لإرادة التغيير عند الإنسان المتعلقة بالأهداف السامية التي تتجاوز حاجياته الغريزية ولقد استدل بذلك في تحليله للانتفاضة الفلسطينية باعتبارها تحمل بعدا قيما في سلوك الإنسان والبعد الروحي وتجاوزها لمجرد المادية المتعلقة بالوضع الاجتماعي والاقتصادي للإنسان الفلسطيني بل هي تعبر عن الهوية والقيم الروحانية المتعلقة بالحرية والكرامة والعزة، وليست انتفاضة الجوع والفقير .

- كذلك يمكن القول أن البشر رغم اختلاف أعراقهم وألوانهم ومعتقداتهم وعاداتهم إلا أن مسألة القيم الأخلاقية تعتبر المشترك بينهم والمثل الأعلى لهم على أساس السجية والفطرة التي جبلوا عليها وهو ما عبر عنه الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" بالإرادة الخيرة، فالقبح والحسن هما معيارين مهمين للتمييز بين الخير والشر بالنسبة للعقل والفطرة، ومن مستويات القيم المختلفة نجد أن الدين أعطى مكانة مهمة للقيم وجعلها في المصافي العليا، فإذا كانت القيم تعبر عن الخير والحق في الفلسفة القديمة فإنها تعبر عن الحرية والعدالة في العصر الحديث .

- مشروع "المسيري" حول الإنسان الذي يؤسس للعدالة والأخلاق وركز على القضية الفلسطينية كنموذج لتدهور القيم بين دول العالم فهو يقول أننا لا ندعو للعنف ولا للمهادنة بل نسعى ونطالب بتحقيق الحق والعدل وفقا لمؤسسات العالم الحقوقية والتي هي ملزمة بحقوق الإنسان مهما كن وصفه وبما أن الوضع اليوم لا يعبر عن احترام

تلك الجهات القانونية لحقوق الإنسان فلا بد من إحقاق العدالة بما يكفل القانون والأعراف من حق المقاومة والدفاع عن المقدسات والأرض فالأصل في العلاقات البشرية ليس هو الحروب بل السلم والتعايش لكن قيام الحرب هو فعل اضطراري بسبب تراجع العدالة وضياع الحقوق الذي يمثل ضربة موجعة للأخلاق حسب "عبد الوهاب المسيري" الذي اعتبر أن الحروب لا تجلب سوى الدمار والخراب فالدول الغربية لا زالت تعاني من أثار الحربين العالميتين الأولى والثانية التي تحكم علاقتهم والتي أثرت على الدول العربية ومن ثمة أثرت على قضية فلسطين لذلك فالعدل باعتباره قيمة أخلاقية كبرى لا بد أن يبنى على أساس النفع البشري وفقا للفضيلة حسب "المسيري" وهو ما عبر عنه بالمعروف، وفي المقابل لا بد من صد كل ما هو غير أخلاقي ومحااربه لأنه ضرر وهو ما سماه بالمنكر، ومن الواضح تأثره بالثقافة العربية الإسلامية وتعاليم الدين الإسلامي في ذلك، ومن المستويات المتعلقة بالأخلاق كذلك نجد مسألة ارتباطها بالسياسة باعتبارها عامل مهم لتوجيه السلوك السياسي للدولة والأفراد حسب "المسيري".

- إن العلمانية الغربية والتي تعبر عن فصل الدين عن الدولة في الغرب المسيحي ليست أصيلة في ثقافتنا العربية بل مستوردة من الغرب، لكن ربما لها بعض المظاهر في واقعنا من حيث الدين وعلاقته بالدنيا فمثلا مسألة تلقيح النخيل في حياة الرسول الكريم ذكر للناس أن الرياح لواقح لكنهم قالوا أنهم تعودوا تلقيحها بأيديهم فاقروهم على ذلك الرسول وقال ذلك شأنكم ودنياكم، بمعنى العلمانية الجزئية أو مساحة بسيطة تفسح المجال للأمور الدنيوية التي تعالج من خلال الواقع، فالعلمانية تلتقي مع العولمة في الجانب المادي باعتبارها عملية لنشر مجموعة من الأفكار بين الناس وتداولها بشكل عملي ويمكن القول حسب "المسيري" أن الهوية الوطنية العربية الإسلامية الصحيحة هي شكل من أشكال المقاومة للعولمة ويؤسس عليها مشروعها المتعلق بالإنسانية المشتركة والتي طرحه كبديل للإنسانية الواحدة التي تركز على العولمة والرأسمالية والإمبريالية الغربية التي تؤمن بالتجانس والتصاهر على أساس والذوبان في قالب واحد عنوانه السيطرة للأقوى ورفض الخصوصية والتي يولمها "المسيري" الاهتمام بالبلغ ويعتبرها من سمات الإنسانية المشتركة، لحفظ المساواة واحترام الاختلاف .

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. المسيري عبد الوهاب، الايدولوجيا الصهيونية، دراسة حالة في علم الاجتماع، دار المعرفة.
2. _____، اليد الخفية دراسات في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، دار الشروق، ط1 1998، ط2 2001
3. _____، الثقافة والمنهج دارالفكر دمشق، سوريا.
4. _____، الحداثة وما بعد الحداثة، جمعية الدعوة الإسلامية العامة
5. _____، حوارات الهوية والحركة الإسلامية، دار الفكر دمشق، سوريا، تحرير سوزان حرفي.
6. _____، دراسات في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، ط1 2006 .
7. _____، دفاعا عن الإنسانية، دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة، دار الشروق، ط1، 2003، ط2 2003.
8. _____، رحلتي الفكرية البذور والجذور والثمار، سيرة ذاتية غير موضوعية
9. _____، العالم والغرب تاريخ الحضارة من خلال موضوعات، مج 2، عالم المعرفة.
10. _____، عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان، ط1 2002.
11. _____، العلمانية والحداثة والعولمة، حوارات، تحرير سوزان حرفي، ط1 2013.
12. _____، الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات مج 01، تحرير هدى عبد السمیع حجازي، 1985.
13. _____، الصهيونية والحضارة الغربية، مركز جار الهدى.
14. _____، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق سوريا ط1 2002، ط2 2007.
15. _____، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشرق، مصر، 1968 -

المراجع:

16. الشيخ ممدوح، من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، عبد الوهاب المسيري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي 7، بيروت، لبنان، ط1 2008، ص84 -
17. روح بشير، مطارقات في العقل والتنوير، عبد الوهاب المسيري إنموذجا، دار الفارابي، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، ط1 2012، ص12 -
18. في عالم عبد الوهاب المسيري، تقديم: محمد حسنين هيكل، تحرير أحمد بن عبد الحلیم عطية، دار الشروق، ط1 2004.